

## نحو تصحيح مسار الدراسات العليا

المقصود بالدراسات العليا — كما يعلم جميع طلبة الجامعات — أنها الأعمال والأبحاث العلمية التي يقوم بها الطالبة بعد تخرجهما بتقدير جيد على الأقل من مرحلة الليسانس والبكالريوس، وتجرى تحت إشراف أستاذة ذوى خبرة ، يتبعون ويؤهلوون هؤلاء الطلبة لكي ينجز كل منهم بحثا علميا فى تخصص معين ، وحين ينتهى منه تشكل لجنة علمية لمناقشته علنيا وتقييمه ثم الحكم عليه . وهكذا تتواصل مسيرة البحث العلمي المتخصص فى جامعتنا ، وكذلك فى سائر الجامعات العالمية .

\*\*

أما (تصحيح المسار) الموارد فى العنوان ، فيحتاج إلى وقفة مصارحة ، وخاصة فى المجال الذى أعمل فيه منذ حوالى نصف قرن ، وهو مجال الدراسات العربية والإسلامية . ولبيان ذلك أقول : إن هذا المجال — الذى مر عليه اليوم فى جامعاتنا ما يقرب من مائة عام — ما يزال يدور فى دوائر مغلقة ، تنسى بالنمطية ويغلب على معظمها السطحية وافتقارها إلى النتائج الإيجابية ، وهى الأمور التى تنتهى بهذه الأبحاث — التى بذل فيها الكثير من الوقت والجهد — إلى التكادس على المأرشف وحتى ما يطبع منها لا يكاد يكون له تأثير يذكر فى حياة المجتمع العلمية أو الثقافية .

\*\*

ولما أريد أن أتطرق هنا إلى (كل) أسباب هذا المضعف الواضح فى تلك الأبحاث وإنما سأكتفى فقط ببعضها الأكثر أهمية : أولاً : عدم تسلاخ المباحثين بلغة أجنبية أو أكثر — بالإضافة طبعا إلى إتقان العربية — مما يجعل الباحث لا ينظر للأمور سوى بعين واحدة !

\*\*

ثانيا : عدم المترحال إلى الأماكن التى يرغب الباحث فى دراستها تاريخيا واجتماعيا وثقافيا ، مع اكتفائه بما كتب عن هذه الأماكن فى بلده وباللغة العربية وحدها !

\*\*

ثالثا : عندما يقوم الباحث بدراسة مقارنة بين الثقافة العربية والإسلامية وبين الثقافات الأخرى التى اتصلت بها وتفاعلـت معها فإنه يكاد يقتصر فقط على المصادر العربية دون الاستعانة بمصادر الثقافات الأخرى ، وبذلك يفقد البحث جزءا أساسيا من بنائه .

\*\*

رابعا : هناك خطأ فادح تحول بمرور الوقت إلى عرف اجتماعى بغرض ، ومع الأسف لم يسلم منه الأساتذة أنفسهم ، وذلك حين أصبحوا (يتوجون) المرسائل العلمية لطلبتهم جميرا بأعلى تقدير (امتياز للماجستير ، ومرتبة الشرف الأولى للدكتوراه) دون تمييز بين ضعيف وجيد ومتميز !

\*\*

خامسا : أن جزءا كبيرا من الدراسات العليا أصبح منصبا على (تحقيق المتراث) ولما شك أن هذا ميدان هام جدا ، لكنه مع الأسف كما يحتوى على بعض الجواهر الثمينة ، يمتلى بالحصى .. فليس كل ما كتبه السابقون يستحق أن تبذل فيه هذا الجهد الكبير ، لكي نخرجـه من حالـته المخطوطة إلى المطبوعة ثم بعد ذلك نقرأ فيه فلـا نجد ما يفيد !

[]

بقى أمر هام فى مسألة تصحيح المسار ، وهو فى الحقيقة عبارة عن دعوة إلى المشتغلين بالدراسات العليا فى كليات الآثار ودار العلوم والآداب ، تتمثل فى أهمية عقد مقارنات بين الكثير مما يوجد فى الحضارة العربية والإسلامية وبين ما يشـابهـها أو يقارـبـها أو حتى يتـافقـ معـها فىـ الحـضـارـةـ المـصرـيـةـ الـقـديـمةـ . وأـسـتـطـعـ أنـ أـؤـكـدـ لـهـمـ جـمـيعـاـ أنـ هـذـهـ ماـ زـالـتـ مـسـاحـةـ شـاسـعـةـ لمـ يـرـتـدـهاـ كـثـيرـ منـ الـبـاحـثـينـ ، لـكـنـهـ تـضـمـنـ نـتـائـجـ فـيـ خـاتـمـ الـأـهـمـيـةـ ، وـهـىـ تـهـمـ الـمـشـتـغـلـينـ بـالـإـجـبـتـوـلـوـجـىـ فـيـ كـلـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ فـضـلـاـ عـنـ الـمـتـخـصـصـينـ فـيـ الـجـامـعـاتـ . لـكـنـ مـثـلـ هـذـاـ التـوـجـهـ لـاـ يـأـتـىـ مـنـ فـرـاغـ ، بلـ لـاـ بـدـ لـهـ مـنـ اـسـتـعـدـادـ جـيدـ فـيـ مـعـرـفـةـ لـغـةـ وـثـقـافـةـ كـلـ مـنـ الـمـحـضـارـتـينـ ، وـحـسـبـنـاـ مـاـ انـفـقـنـاهـ حـتـىـ الـآنـ مـنـ وـقـتـ طـوـيلـ فـيـ الـمـقـارـنـةـ مـعـ الـمـشـقـافـةـ الـإـغـرـيقـيـةـ الـتـىـ لـاـ يـوـجـدـ مـنـهـاـ شـاءـ فـيـ حـيـاتـنـاـ ، بـيـنـمـاـ الـكـثـيرـ وـالـكـثـيرـ جـداـ مـنـ عـنـاصـرـ الـمـحـضـارـتـينـ الـمـصـرـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ مـاـ زـالـتـ تـعـيـشـ فـيـنـاـ وـبـيـنـنـاـ .

